

أندراوس بشته . عادل تيودور خوري

الإصغاء إلى كلام الله

في المسيحية والإسلام

إعداد

مشير باسيل عون

المكتبة البولسية

جونية - لبنان

١٩٩٧

فهرس الكتاب

٥	مقدمة
١١	افتتاحيات
		المسيحيون والمسلمون مائلون معاً أمام كلام الله
٢١	عادل تيودور خوري
		الإنسان في القرآن الكريم بوصفه مستمعاً إلى كلام الله (الفضل الإلهي، الحرية، الواجب)
٤١	محمود حمدي زقزوق
		الإصغاء إلى كلمته. الكلمة القريبة كقدرة مُنشئة للحياة بحسب العهد الجديد
٨٣	يورغن رولوف
		الكلمة الإلهية والمؤلهة
١٠٩	جسبرت غرسهاك
		الإصغاء إلى كلمة الله. القرآن الكريم في تاريخ التقليد الإسلامي
١٤٩	محمد طالبي

فهرس الكتاب

١٨٥	ساعة صلاة
٢٠١	الكلمة والطريق. بحث الإنسان عن الله في التصوف الإسلامي محمود أيوب
٢٢٥	التبادل الصوفي. التبادل العجيب بين الإنسان والله في الكلمة الإلهية يوسف سودبرك
٢٦٥	المؤلفون
٢٦٧	فهرس الكتاب



مُقدِّمة

إنَّ اللقاء بين المسلمين والمسيحيين، الذي نشتر هنا أعمال دورته الأخيرة، قد بدأ في دار كَلِيَّة القَدَيْس جبرائيل سنة ١٩٧٧. وكان الاهتمام حين ذاك موجَّهًا إلى الإيمان بالله كما يتجلَّى في تصوّر التراث العقيدِيّ الإسلاميّ والمسيحيّ^١. وقد دار فيه الكلام أيضًا حول الإنسان الذي ينظر بعيني قلبه المؤمن إلى صورة الله هذه.

فمن هو هذا الإنسان، المسلم أو المسيحيّ، الذي ينظر إلى صورة الله ويحمل في قلبه هذه الصورة كأثمن عطية؟ ومهما كان هناك من الاختلاف في الجواب عن هذا السؤال: من هو الإنسان مقابل حقيقة الله الواحد القدوس؟، ومهما كان هناك من الفوارق في النظرة إلى الإنسان في المسيحية والإنسان، فإنَّ هناك في التراثين نظرة أساسية مشتركة: الإنسان كمصغّر إلى كلام الله. وحول هذا الموضوع انعقد في معهد القديس جبرائيل اللقاء المسيحيّ الإسلاميّ الثاني، وهو موضوع من شأنه على ما يبدو، إن أحسنًا فهمه، أن يكشف الاتّفاق العميق بين المسيحية والإسلام وفي الوقت نفسه الفرق بين التراثين الدينيين^٢. فإنَّ الإصغاء المؤمن إلى حقيقة يفهمها ويكرّمها المسيحيون والمسلمون ولو بنوع مختلف، ككلمة يوجّهها الله إليهم، يتركز عليه الكيان المسيحيّ والمسلم على حدّ سواء، وبه يصبح المسلم مسلمًا والمسيحيّ مسيحيًا.

أمَّا الصفة الحوارية للمؤتمر فتكمن، كما كان الوضع في المؤتمرات السابقة، في القيام بالاتّصالات الشخصية بالمحاضرين في فترة إعداد اللقاء. وهكذا انفسح المجال للمحاضرات في إطار الموضوع العامّ للقاء، منذ اللحظة الأولى، أن تأخذ بعين الاعتبار مواضيع المحاضرين الآخرين

مقدمة

وتكتمل الواحدة منها الأخرى. وهكذا استطاع المحاضرون في أيام المؤتمر أن يتلاقوا ويخلقوا بذلك جوًّا مناسبًا للتفاهم ولتبادل الآراء. ومن ناحية أخرى فإنَّ مجرى الأعمال مكن من تكثيف تبادل الآراء ووجهات النظر بين المحاضرين والمشاركين العديدين. وهكذا في دوراتٍ تعاقبت فيها تعاقبًا متناغمًا المحاضرات وفِرَقُ التحوار التي قام المحاضرون بإدارتها، والمناقشة في جلسات عامة، وانطلاقًا من روح تفهّمٍ وتقبّلٍ متبادلٍ لغريّة الآخرين، أضحى بالإمكان الوصول إلى تقاربٍ عقليٍّ كبيرٍ يتركز على الموقف المشترك أمام الله. وهذا الموقف المشترك ظهر مظهرًا واضحًا في ساعة صلاةٍ جمعت في منتصف أعمال المؤتمر المشتركين وأنشأت في وجدانهم اختبارًا روحيًا عميقًا. وفيما أفادت هذه الصلاة من الجوّ الذي أحاط بها في سياق المؤتمر، فقد أمدّت هي بدورها اللقاء بين مؤمنين مسلمين ومسيحيين بما سمّاه محمود أيوب في انطلاقةٍ عفويةٍ نالت استحسان جميع المشتركين «عيدًا روحيًا». وستؤنق في هذا الكتاب في الموضوع الخاص الذي حلّت فيه من المؤتمر.

وهكذا كان المؤتمر خطوة جديدة على طريق يتعلّم فيه المسيحيون والمسلمون أن يتبادلوا الحديث، لا بل أن يفتحوا قلوبهم لبعضهم لبعض ويلتقوا في احترام متبادل لقناعاتهم الدينيّة وأن يفسحوا بعضهم لبعض مجالًا في حياتهم الذهنيّة. فإنَّ الغرض من هذا المؤتمر، الذي عُقد وفقًا لمقاصد هذه الدورات في لاهوت الأديان ضمن نشاط الكلية اللاهوتيّة للقديس جيراثيل، لم يكن تصميم «مسيحية جديدة» و«إسلام جديد»، تصميمًا يُبعد الدينين عن فهمها لذاتهما على مقتضى أسس تراثهما هذا، مهما كان من المهمّ في أفق التاريخ الخاضع لتغيّرٍ متواصل أن نسعى في

مقدمة

تفهّم جديد لمحتوى إيماننا، لكي نتمكن في صدق ومسؤولية من الاعتراف به. وقد توفّقنا كرمز إلى جهدنا في تأمل جذور إيماننا ومقاصده الدينية تأملاً جديداً متعمّقا، أن نعرض في أيام المؤتمر في وسط قاعة الاجتماع مخطوطتين ثمّنتين : مخطوطة قرآن من أواخر القرن الثالث عشر ومخطوطة إنجيل من القرن الثاني عشر.

وهكذا قام الأمل بأننا نستطيع أن نسلك سُبلاً جديدة، إذ إنّ المسيحيّين والمسلمين في تاريخ علاقاتهم الطويل لم يلتقوا إلا قليلاً في انفتاح دون تحفّظ وفي احترام متبادل. ثمّ إنّ من جهة أخرى ليس من أحدٍ يعلم في أي حال يخرج من لقاء تقبله بقلب صادق منفتح وهو على استعداد أن يمنح الآخر مجالاً ذهنياً دون أن يفقد لذلك ذاته الخاصّة وعلى أمل أن يعيد اكتشافها من جديد. وهناك أملٌ أعمق ينتج عن أيام اللقاء هذا، وهو يكمن في الاقتناع بأنّ الإنسان المتديّن بصفته مستمعاً إلى كلام الله لا يعي نفسه كأنه هو الذي يعيش علاقته وتاريخه مع الحقيقة. بل هي الحقيقة تصمّم تاريخها معه.

أمّا مصير هذه السبيل العقليّة، التي تخضع لتاريخ عمل الله في حياتنا، إذ إنّنا نفتح قلوبنا له ولكلمته في استعداد واستسلام كليّين، فلا نعلمه نحن، إنّما يعلمه الله وحده. فإنّ التوتّرات والمسائل التي تبدو مستعصية للؤمن قد تمسي نوراً عندما تُستشَفّ من خلالها رغم إثنا ووسط خطايانا تلك الحقيقة السامية التي تتعالى من فوقنا كما تعلو السماء على الأرض. أعني الله، الذي تتسامى طرقه عن طرق البشر ويصرّح لهم : «إنّ أفكارى ليست أفكاركم، ولا طرقكم طرقى» (أشعيا ٥٥ : ٨).

مقدمة

فما هو الآن الإنسان كمصنغٍ إلى كلام الله؟ ماذا يحدث حيث يفتح الإنسان وعيه لكلام الله ويتقبله بإيمان؟ لِمَ يتحوّل الإنسان ككفر في علاقاته الاجتماعية إلى شخص آخر عندما يصغي إلى كلام الله؟ وإلى أيّ مدى ينحدر الله بكلامه، الذي يتجلّى فيه للإنسان، من حيزّ تعاليه، وبأيّ حال يدخل كلامه، عندما يتقبله الإنسان بإيمان، عالم الإنسان فيغيّره ويجدّده؟

في هذا النطاق يجول أولاً التأمل في رؤية القرآن (محمود زقزوق) والكتاب المقدّس في عهده الجديد (يورغن رولوف Jürgen Roloff) لكلام الله. وللإنسان الذي يريد أن يصل إليه هذا الكلام والذي بصفته الشخص الموجه إليه الكلام هو مدعوّ للإصغاء. ويقدر ما يخترق كيانه هذا الكلام وبملاؤه، يُضحّي مُعدّاً لأن يكون هو نفسه حاملاً رسالة التبليغ والكلمة الموجهة إلى الآخرين. يتبع ذلك تفكيرٌ مسيحيّ مستفيض في كلام الله، الذي يفرض وجود فارق يتغلّب عليه، والذي هو إلهيٌّ ومؤلّه في الوقت نفسه (جسيرت غرسهاك Gisbert Greshake). ثمّ يلي ذلك بحثٌ لاهوتيّ تاريخيّ في تأثير القرآن في الأمة الإسلامية منذ قيامها على مدى القرون. ذلك التأثير الذي يطبعها بطابع خاصّ وينشئ بُناها. وهو بحثٌ في ذلك الكلام الذي هو إلهيٌّ وفي الوقت نفسه في صيغته اللغويّة بشريّ تماماً (محمد طالبي). أمّا المحور الثالث للمؤتمر فيوضح كيف أنّ الحياة المستقاة من معين الإصغاء إلى كلام الله في تاريخ الإيمان الإسلاميّ والمسيحيّ قد فجّرت مراراً عديدة بُعداً صوفيّاً، وكيف أنّه وسط جميع التوتّرات بين الروح والجهاز الإداريّ ووسط جميع الانحرافات المهذّدة بالضلال، لم ينظفمى الروح بل بعث حياة عارمة من منبع الإصغاء إلى

مقدمة

كلام الله، كان لها أثرها المحتم في حياة الجماعة الدينيّة (محمود أيوب ويوسف سودبراك Josef Sudbrack).

أمّا المحاضرة التي افتتحت هذا اللقاء المسيحيّ الإسلاميّ الثاني في مباني كليّة القديس جبرائيل اللاهوتيّة، فقد تطرّق فيها عادل تيودور خوري إلى المسؤولية المشتركة وإلى التعايش الأخويّ بين المسيحيّين والمسلمين في عالم تنمو أقسامه حتّى يُضحى للبشريّة جمعاء مجال العيش الوحيد غير القابل للتجزئة، في عالم تتحمّل فيه القوى الدينيّة مسؤوليّة مهمة خاصّة لا يمكن التحوّل عنها. فإنّ الإيمان الذي يربط بين المسيحيّين والمسلمين واعتقادهم أنّ جميع الناس خلائق الله تحيا تحت سلطة كلامه، يمنحهم وعياً حازماً للقراءة التي تربط جميع البشر، وعياً يفرض عليهم إقامة عدالة أخويّة تجعل الناس يحملون جميعهم المسؤولية تجاه الجميع.

يسرّنا أن نقدّم هذه المجموعة من المحاضرات للقراء في العالم العربيّ توثيقاً للجهود التي تبذلها طائفة من علماء المسلمين والمسيحيّين في سبيل خلق جوّ ملائم للحوار وإقامة علاقة مؤسّسة على محتويات إيمانهم وقواعد أخلاقيّاتهم المشتركة بينهم تُقرّب القلوب وتوسّع المجال للقيام بالتعاون في شتى مجالات العمل الاجتماعيّ لصيانة القيم الأخلاقيّة وإقامة العدل والسلام في علاقات الشعوب بعضها ببعض. عسى أن يبارك الله هذه المساعي ويقرّب زمن المصالحة المنشودة بين الأمة الإسلاميّة والجماعة المسيحيّة لخير كلّ منهما ولخير البشريّة جمعاء وضمن مستقبل العالم، عالمنا الواحد.

عادل تيودور خوري

أندراوس بشتيه Andreas Bsteh